الإتجاهات السّلفية في كينيا

— الأبعاد الخِلافية والنَّشاطات الدعوية —

وكتب/ عبدالنّاصر عبدالقادر فارح

تمهيد:

صراع الرؤيا والأفكار لا يعني الصراع بشأن مصالح مختلفة ومتعارضة، إذ إنه في حالة تعارض المصالح، يتمكن عادةً المُتنازعون على قضيةٍ ما من الإدراك والأفهام الواضح للقضية التي يتنازعون بشأنها، فيتيسّر بالتالي على كل فريقٍ منهم تحديد احتمالات الربح والخسارة في نزاعاتهم هذه؛ مع العلم أنّ فهم القضايا المتنازَع عليها قد يكون مقتصراً على الأطراف المتنازعة، وقد يتشوشُ الرأي العام ويجد صعوبة في فهم ما يجري تحتَ تأثير ما يدّعيه كل طرف، ويمكن القول بأنّ الغموض لدى الرّأي العام ويجد صعوبة في فهم ما يجري تحت تأثير ما يدّعيه كل طرف، ويمكن القول بأنّ الغموض لدى الرّأي العام هو النتيجة المباشرة للوُضوح التّام في إلمام الأطراف المتصارعة بالمصالح المتنازَع عليها، غير أنّه في حال شبّ النزاع بسبب التصورات المتصارعة، تنعكس الآية، ونجد أنّ الأطراف المُعينة التي يكونى أصحابها مُتحمسين جداً لتصورٍ معيّن هم الأقل إدراكًا للافتراضيّات التي أملت عليهم تبني هذا التصور، أو يكونون الأقل إهتمامًا في التفكير بهذه الإفتراضيّات، لأنّهم يكونون تحت ضغط مواجهة المسائل " العلمية " الملحة،

وشنّ الحروب الضروس على من يخالفهم، وبذل أي ثمن في الدفاع عن القيم التي يؤمنون بها.

مع كل ذلك، لا يمكنني وصفُ التصورات أو الرّؤيا بالدوافع العاطفية، إذ لا يُمكننا إلا أن نندهش من التناسق المنطقي الذي تتصف به هذه التصورات، حتى لو أنّ أصحابها

لم يتكلّفيوا العناء في تبيّن السياق المنطقي لقناعاتهم وتصوراتهم، ولا يمكنني حصر وجود التصورات لدى المتعصبين لعقائدهم وأصحاب الإيديولوجيات الجامدة، فكل واحدٍ منّا يحمل تصورات معينة، ويمكن إعتبار التصورات على أنّها العامل الصامت الذي تتشكّل تحت تأثيره آراؤنا ومعتقداتنا الفكرية.

ويُمكن أن تتكون لدينا تصورات على مُستوى الأخلاقيات العامة، وعلى المستويات السياسية والإقتصادية والدينية والإجتماعية، وفي هذه الأمور وفي غيرها من المجالات، نكون على استعداد تام للتضحية بأي شيء من أجل إبراز أحقية تصوراتنا، وفي بعض الأحيان نفضّل الخسائر الفادحة على التفكير في خيانة تصوراتنا إن اقتضت الظروف ذلك، وقد يؤدي تصادم التصورات بشكلٍ قوي

ومحكم إلى إحداث الفرقة والعدواة على صعيد المجتمع بأكمله، والملاحظ أن النزاع بشأن المصالح يكون على المدى القصير، بينما النزاعات على مستوى التصورات تدوم على مدى أجيالٍ عدّة.

نحنُ على أتم الإستعداد لبذل أي جهود وأي ثمن في سبيل تصوراتنا ما عدا التفكير والتأمل بهذه التصورات، وهذه الورقة تُحاوِل سِبر أغوارٍ تُلخّصها باللنقاط الآتية:

النقطة الأولى السلفية العلمية.

النقطة الثانية: السلفية الجامدة.

النقطة الثالثة: السلفية الجهادية.

النقطة الأولى: السّلفية العلمية:

لم يكن اصطلاح (السلفية) معروفًا فيما سبق وإن أطلقه الحافظ المؤرخ الذهبي على بعض الأئمة تزكية لهم، فمن يتمسك بمنهج السلف كان يُسمى بـ (أهل السنة والجماعة) تمييزاً عن أهل البدع والأهواء والفرقة، وكانت مدرسة أهل الحديث التي كان يُمثلها الإمام أحمد بن حنبل وأقرانه وأتباعه مشهورة بردّ الفرق وأهل الأهواء كالجهمية والمعتزلة والقدرية والمرجئة وغيرهم، ولهم في ذلك مصنفات كثيرة جداً باسم (كتاب السنة)، ثم بعد القرن الرابع الهجري، وبعد انتشار مذهب الإمام أبي الحسن الأشعري الذي خرج على المعتزلة ورجع عن كثير من آرائه الكلامية إلى طريق السلف في الإثبات وعدم التأويل حصل شجار في بعض مسائل العقيدة بين الحنابلة في بغداد والأشاعرة القدامى كأبي بكر الباقلاني وأبي إسحاق الشيرازي وأبي بكر بن فورك وأبي المعالي الجويني وغيرهم، وكان الحنابلة يشنعون على الأشاعرة وإمامهم الأشعري، وقد صنّف الحافظ ابن عساكر كتابًا في ذلك سماه (تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام الأشعري)، ثم جاء الإمامان ابن تيمية وابن القيم فأصلاً مذهب الحنابلة الذي سينبثق عنه الفكر السلفي وركزاً على

الأدلة المقترنة بالتأصييل والجدل والمنطق، ولكن مذهب السلف لم يكن مقتصراً على المذهب الحنبلي وأئمته؛ فقد كان هناك أئمة شافعيون ومالكيون وأحناف كانوا على مذهب السلف الصالح في الأسماء والصفات وصنفوا في ذلك كتبًا كثيرة، وبعد قرون جاء الإمام محمد بن عبدالوهاب النجدي التميمي الحنبلي، وقد استفاد كثيراً من أفكار ابن تيمية وابن القيم فانتشر فكره في الجزيرة العربية وخارجها مع قيام الدولة السعودية في نجد، فانتقل الوصف من (حنبلي) إلى (وهابي) حتى جاء القرن الهجري الماضي، وكان الشيخ ناصر الدين الألباني أوّل من تبنّى اصطلاح (السلفية) وشاعها كمركز واسم على كتلة، وإن كان هذا الاصطلاح موجوداً قبله لكنه لم يكن منتشراً وشائعًا بهذا الاسم والشكل، ثم حلت (السلفية) محل (الحنابلة) و(الوهابية) بعد أن شاع الفكر في شتى بقاع الأرض، وصار لها أتباع ومرجعيات وكتب ورسائل ومراكز.

وفي هذه الوهلة نقدّم شيئا عن السلفية العلمية أو التقليدية ، ويسمى (النصية) ورأى أصحابها أنهم يلتزمون بالنصوص بعيداً عن التأويلات العصرية ، ويعتبرون حكام الدُول الإسلامية شرعيين يجب طاعتهم فيما أمروا به، ويحرم منابذهم

وتكفيرهم ومقاتلتهم، وأن ما يجري الآن في الدول الإسلامية من تفجير واغتيال هو غير جهاد بل هو تخريبٌ وفتنة، وأغلبُ هذا الفكر موجودٌ في السعودية واليمن والأردن ومصر وخارج العالم العربي والإسلامي.

النقطة الثانية: السلفية الجهادية:

ورأيُ أصحابها أن التغيير اليوم يكون بالسلاح والقتال (الجهاد) وهو فرض عين على كل مسلم ، وأنَ حُكام العالم الإسلامي مرتدون عن الإسلام يجب قتالهم وخلعهم، وأن مقاتلة أعداء الله من الصليبيين والصهانية وأذنابهم واجبٌ شرعي بكل السبل بالتفجيرات والاغتيالات وغير ذلك، وهذا الفكر إنتشر في العقود الأخيرة لاسيما بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١م.

واتصف الخطاب الدعوي السلفي في كينيا عمومًا في كينيا بالخشونة والتشدد في غير موضعه، فقد بدأت الدعوة السلفية في كينيا بعد إنهيار الحكومة المركزية في الصومال بالهجوم بالأسلحة البيضة على بعض الأقاليم التابعة للحكومة الكينية، رغم أن الدعوة السلفية نجحت بشكل مضطرد بعد سقوط نظام الجنرال محمد

سياد بري، لكن الخطاب السلفي لم يكن متسامحا مع خصومه، فقد كان بعض طلاب السلفية يصفون الفقه والأصول نوعًا من اللغو ، بل هجروا دراسة متون الفقه الشافعي، قائلين إن دراسة القرآن والحديث كافية في فقه الدين!!

وظاهرة الإنشقاقات معروفة عند السلفية في كينيا وفي غيرها، فقلما ترى حركة سلفية متماسكة لمدة عشر سنوات، وهذا سببه تقديس الأفكار، وعدم الاعتراف بالآخر، والتشدد في غير موضعه، وضيق الأفق، وعدم الإنصاف مع الخصور!

والغريب أن الحركات الإسلامية في كينيا عمومًا تشتغل كالعدّ العكسي، وتتجاهل رسالتها الأساسية وهي توحيد الشعب وإيثار النّاس والتغلغل في المجتمع الكيني، ولولا ذلك لما وصل الإسلام بدون سيف إلى الصومال وبلاد الحبشة.

النقطة الثالثة: السلفية الجامية / المدخلية الرّبيعية:

منذ مارس عام ٢٠٠٦م قامت في مقديشو التي كان يسيطر عليها زعماء الحرب ولُجان الفتنة منذ سقوط الحكومة المركزية الصومالية ١٩٩١م انتفاضةٌ جديدة في كينيا، ونقلةٌ نوعية للصراع المعهود في المدن الصومالية التي لم تعهد الاستقرار

الأمني والسياسي، وقادت الحركة الجامية ثورةٌ شعبية عارمة على زعماء الحرب التي بموجبها أنهت وجودهم العسكري والسياسي لأول مرة في جنوب الصومال، والتي شهدت ثورات متلاحقة الأزمان، وفي هذا النداء والتحذير إلى الحركات المسلحة في الصومال إنقاذت البلاد إلى تدّخل عسكري إيثوبي وأمريكي، واحتج الأطراف السياسية الصومالية بشرعية هذا التدخل بفتاوى رُوّاد الحركة الجامية التي تمركزت في عاصمة كينيا (نيروبي) ، واحتاجت الصومال منذ ذلك الوقت حروب أهلية قبلية عنيفة، يقودها الحين بعض مشائخ البلد، وكان الشخصُ يُقتل على هويته القبلية علنًا في رابعة نهار! ثم إنتشر هذا الفكر إلى وسط كينيا وسواحلها، وما لبثَ هذا التيار موجوداً في أحضان كينيا، وله دورٌ رافد في المجتمع.

إنتشر التيار السلفي الجديدي بكثرة في كينيا بشكل مضطردٍ، لا تخاف ملاحقة أمنية ولا تضييقًا من سُلطة، وكانت الحركات الإسلامية عمومًا تؤدي دورها الدعويّ بشكل حيويّ وواضح، وكانت المحاضرات المختلفة تُعقد في شتى المساجد في العاصمة الكينية تتناول مناطظرات فكرية ودروسًا علمية ووعظًا وإرشاداً

ورقائق، وقد فتحت حركة الإعتصام مركزها الدعوي في كينيا، تُعقد فيه الدورات والمحاضرات للشباب والنساء، وكانت حركة الإصلاح لها مراكز تأهيلية في أغلب أحياء نيروبي أهمها (مركز ابن باز) في محافظة إسلي!

وهكذا تمارس كل حركة عملها الدعوي بكل حركة، ولم تك تحتكُ بأمراء الحرب ، ولا كان أمراء الحرب يتدخلون في مسيرة العمل الإسلامي في الصومال وفي كينيا، وكان التعايش بينهم وبين التيارات الإسلامية في نيروبي سلميا وبعيداً عن الإحتكاكات والنزاعات الأهلية.

الخاتمة:

وقبل أن أضع القلم إيذانًا بالفراغ ، أسجل هنا بعض الأمور ومفادها ما يلي:

أنا أدعو التيار السلفي في كينيا وفي الصومال إلى توسيع دائرة العمل الإسلامي المشترك، والتخلي عن المحاصصة والاستغلال، وإقصاء الحركات الإسلامية الأخرى العاملة في الساحة، كما أدعو جناح الحركات إلى التصالح والدعوة إلى توحيد الحركات الإسلامية جمعاء تحت جبهة عريضة مهما يكن من مُحال!

وما ذكرتُ عنه من تلك المعيشة هو نتاج لاستمرار شعب كان ينشد عن الحياة، وهذا التقدم لم تجلبه حكومة مركزية صومالية، ولم يجلبه مجتمعٌ دولي ، بل جلبه أمر فرضه الواقع!

إنتهى ما أردت جمعه في هذه العجالة القصيرة، وصل الله وسلم على سيدنا محمد،

تم تبييضُ هذه الورقة، ليلة ١٠ يوليو ٢٠٢١م، الموافق: ٣٠ ذو القعدة ١٤٤٢هـ

وكتب/ عبدالناصر عبدالقادر فارح ،

نيروبي – كينيا